

أزمة الهوية الثقافية الوطنية في الفضاء الإعلامي الجديد: دراسة نوعية

The crisis of national cultural identity in the new media: a qualitative study

ثريا السنوسي*

تاريخ الاستلام : 2021/09/12 ؛ تاريخ القبول : 2021/10/02

ملخص: أنتج التطور المطرد لتكنولوجيات الإعلام والاتصال مجتمعات مخزومة، وهويات مستنسخة نتيجة الانفتاح على ثقافات مركبة ودخيلة، وهو ما يجعل السؤال ملحا حول تجليات أزمة الهوية الثقافية الوطنية، وسبل ترسيخها ضمن تجاذبات فضاءات الإعلام الجديد. وللإجابة عن هذه الإشكالية، قامت الباحثة بدراسة كيفية اعتمدت على مقابلات معمقة مع عينة من الأكاديميين والخبراء في العلوم الانسانية والاجتماعية. ولعل أهم النتائج تتمثل في إجماع العينة على أن أزمة الهوية ليست معطى ثابتا، بل تتلون في شكلها ومضمونها وحدثها، وتتجلى في شعور المستخدم الشاب العربي بالفجوة بين المجتمعات المصدرة للتكنولوجيا وبين مستهلكيها، مما يجعله مهزوزا لدرجة تجعله يخلق "هوية

بيضاء"، كهوية هجينة، عابرة لأشكال الهويات الثقافية المحلية والوطنية، ومحلقة في سماء العالمية. أما عن الأسس السليمة لمواجهة خطر الاستيلاء الثقافي، فإن الحل حسب نخبة الباحثين المستجوبة، يكمن في الإنفتاح مع الإبقاء على بوصلة الأصالة والتفرد، مع ضرورة اضطلاع النخبة المثقفة بدورها الريادي التوعوي والتأصيلي للهوية الثقافية الوطنية عبر وسائل الإعلام الجديد.

*كلية الاتصال جامعة الشارقة.

الكلمات المفتاحية: الهوية الثقافية؛ الهوية الوطنية؛ أزمة الهوية؛ الإعلام الجديد؛ العولمة.

Abstract: The study dealt with the manifestations of the national cultural identity crisis through the new media and ways of consolidating it. The results of qualitative research based on in-depth semi-structured interviews with a sample of academics and experts in the humanities and social sciences revealed that the identity crisis is not static, but rather changes in its form and intensity. Young Arab new media users feel that there is a deep gap between technology export and consumer societies; this might prompt them to reconsider their original identity, establishing what might be called a 'white identity' as a kind of mixed personality, transcending forms of local and regional cultural features, deriving from them globalized values. To overcome the crisis, interviewees advocate judicious use of cyberspace: openness while maintaining the compass of authenticity; the elites were invited to raise awareness to preserve the countryside of the Arab cultural identity through new media.

Keywords: National identity; Cultural identity; Identity crisis; New media; Globalization.

1. مقدمة

خلق الإعلام الجديد عالما بديلا قوامه التبادل الحر واللامحدود للمعلومات، وهو ما جعل من العالم قرية كونية صغيرة كما أسلف مارشال ماكلوهان في حديثه عن الحتمية التكنولوجية، فمحييت الحدود بين الثقافات من جهة، واتسعت الهوية بين المجتمعات من جهة أخرى، مما أدى إلى تقاوم أزمة الهوية الثقافية لاسيما في البلدان العربية. إن الخطر المحقق بالثقافة الوطنية يجعل السؤال الإشكالي ملحا حول تجليات الهوية الثقافية الوطنية في بلداننا العربية في العصر الحالي وميكانيزمات تشكلها في ظل ما يتعرض له الشباب عبر فضاءات الإعلام الجديد من مواد إعلامية وفنية عابرة للثقافات مازجة بين القيم العريقة والدخيلة، وبين

الأخلاق المتأصلة والهجينة. وقد تم طرح السؤال حول تجليات أزمة الهوية الثقافية الوطنية في عصر الفن المعولم والإعلام الجديد، وعن الأسس التي ينبغي أن تقوم عليها الهوية الثقافية الوطنية في العصر الحالي من وجهة نظر نخبة من الباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية العرب. وللحديث عن مظهرات أزمة الهوية الثقافية الوطنية في البلدان العربية وسبل الخروج منها، تم طرح تساؤلين رئيسيين كالتالي:

1. ماهي تجليات أزمة الهوية الثقافية الوطنية وملامحها في البلدان العربية؟
 2. ماهي الأسس السليمة لترسيخ الهوية الثقافية الوطنية وتثبيت مقوماتها ضمن تجاذبات الفضاء الرقمي المعولم؟
- وتتمثل أهمية البحث في أنه يطمح إلى رصد أهم اتجاهات الباحثين في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية فيما سبل درء شبح الاستيلاء الثقافي الوافد عبر وسائل الإعلام الجديد. وللإجابة عن الأسئلة البحثية المطروحة، قمنا بدراسة كيفية اعتمدت على إجراء مقابلات الكترونية مع عينة قصدية شملت 21 باحثا في مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية، من المنتمين للتدريس بالجامعات في المنطقة العربية (أنظر الجدول رقم 1)، وكان التركيز على محورين أساسيين هما:

1. تجليات الأزمة الخاصة بالهوية الثقافية الوطنية وملامحها
 2. الأسس السليمة لترسيخ الهوية الثقافية الوطنية وتثبيت مقوماتها ضمن تجاذبات الفضاء الرقمي المعولم.
2. مفهوم الهوية وسماتها وبعض تفصيلاتها

فرض مصطلح الهوية نفسه باعتباره مصطلحا فلسفيا يستدل به على كون الشيء هو نفسه (السنوسي، 2019، ص2). فمن الناحية اللغوية اشتقت كلمة الهوية من الضمير "هو"، ويقصد به حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره. وتحيل اصطلاحاً إلى حالة استقلال الذات والانتماء إلى الشيء، وهي أيضاً حالة

الشيء كونه متميزاً. وتعد مطلباً أساسياً لكل البشر، وتحديدها واجباً حتمياً، يقع جزئياً على عاتق المسؤولين عن مهمة ضبطها وتوجيهها (حافظ، 2003، ص 164). و تُستخدمُ لفظة الهوية للإشارة إلى المعالم والخصائص التي تتميز بها الشخصية الفردية (أبو حليف، 2016)، بما أنها مقدار ما يحققه الفرد من الوعي بالذات والتفرد والاستقلالية (السيد، 1998، ص 400). وتتصل الهوية بعملية تمكن الفرد من فهم علاقته بالآخرين، على المستويين الشخصي والنفسي، وقد تصل إلى المستوى الاجتماعي (تلهامي، 2002). ويعتبر محمد عابد الجابري أن الهوية هي المصدر الأساسي الذي يعتمد عليه الأفراد لتقديم معاني للأشياء والأحداث (الجابري، 1997، ص 27). ويبين عبد الودود مكروم أن الهوية الثقافية لمجتمع ما لا بد وأن تستند إلى أصول تستمد منها قوتها، وإلى معايير قيمية ومبادئ أخلاقية وضوابط اجتماعية وغايات سامية تجعلها مركزاً للاستقطاب العالمي والإنساني (مكروم، 2008، ص 1375). أما عن سمات الهوية، فيوضح تاجفيل Tajfel أنها تشتق من عضوية الجماعة التي تقف كقوة وحالات ارتباط وعلاقات بين الواحد والآخر، وبذلك فإن التفكير في تشكيل الهوية يستند إلى عملية المقارنة الاجتماعية داخل الجماعة مثل النوع والعمر، وخارجها كنموذج للمعايير العامة لتمييز الذات وتمائلها (تجافيل، 1974، ص 65-93).

ويشير مفهوم الهوية الثقافية حسب الجابري (مصدر سابق) إلى العدد الثابت والجوهرى المشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة الأمة عن غيرها من الحضارات. ويوضح عبد الغني عماد (2017) أنه عندما ينحصر مفهوم الهوية الثقافية في الإرث الثقافي، يؤدي ذلك إلى إمكانية بناء صور للسمات والأنماط والتصرفات والوظائف الفردية والجماعية للصيقة بحاملي الهوية. من جهة أخرى، يعتبر غسان منير أن كل شخص يولد ومعه نوع محدد من الوطنية وله حس بوجودها فيه من خلال انتمائه للبلد الذي يرتبط به نتيجة تاريخه والسلالة التي ينحدر منها وجنسه وثقافته... إلخ، وهي كلها تعتبر من المعالم الموضوعية

للهوية (فروي، 2013، ص55). ويضيف أبو بكر علي محمد أمين أن البيئة الثقافية والفكرية والعقائدية للفرد، هي التي تختار له طبيعة تجاربه. ونظرا لأن الثقافة عالم منفتح خاصة في ظل التطور التكنولوجي والصراع الحضاري فإنها قد تلعب دورا سلبيا في تشكيل الهوية إذا لم يتم ضبطها وفقا للمبادئ الدينية والمعايير الاجتماعية السائدة (أمين، 2010، ص 53). وهو ما يجرنا للحديث عن مأزق أزمة الهوية.

3. الهوية الافتراضية وأزمة الهوية

تعرف الهوية الافتراضية على أنها الصورة الذاتية التي يصنعها المستخدم خصيصا ويطورها لتصبح بديله الذي يعرف بها وتفرده عن الآخرين وتكسبه خصائص مميزة له عن غيره في عالم الحياة الثانية (علاق، 2018). ويمكن القول حينئذ إنه من خلال إنشاء هوية افتراضية، فإننا نخلق شخصا مختلفا عنا، قد يشبهنا ولكنه ليس بالضرورة كنهنا الحقيقي، بل هو كائننا المجزأ الذي يندمج في العالم الافتراضي. بالإضافة إلى ذلك، فإن هذا الشخص الآخر هو مقبول من قبل البقية، وهو ما يجعلنا نركز على هوية شخصيتنا المقبولة في العالم الافتراضي. وهي شخصية منضبطة إلى حد ما أو تحاول أن تكون كذلك حتى تتمكن من الانصهار داخل العالم الافتراضي والانسجام مع من فيه، وحتى تحقق هويتها الافتراضية قبولا ولما لا شعبية (السنوسي، مصدر سابق، ص12). وهذا الانضباط هو الذي يجربها نحو الامتثال لقوانين الشبكات الاجتماعية وقواعدها، وهو ما يفضي بالبعض إلى حالة من الشيزوفرينية المرضية جراء القلق الدائم والخوف من رفض المجموعة الافتراضية والسعي لإرضائها على حساب هويته الواقعية، من خلال تبني أفكار ومعتقدات دخيلة ليست بالضرورة منسجمة مع سياقه الثقافي الذي نشأ وترتفع فيه. وهنا يمكن البدء بالحديث عن بعض تجليات أزمة الهوية، التي يعرفها حسين العامدي بأنها درجة القلق والاضطراب المختلط المرتبط بمحاولة الفرد

تحديد معنى لوجوده في الحياة، من خلال اختيار ما يناسبه من مبادئ ومعتقدات وأهداف وأدوار وعلاقات اجتماعية ذات معنى و قيمة على المستوى الشخصي أو الاجتماعي (الغامدي، 2001، ص 221-255)، وفي نفس السياق، يوضح فواد البكري أن الفيسبوك يجعل الفرد مرتبط بعالم وهمي غير منتج، بل يستهلك طاقاته ويفقده هويته الحقيقية في ظل اصطناع الشخصيات (البكري، 2004، ص 385). ويشير البكري إلى أن الإعلام الجديد يزعم تحويل العالم إلى منظومة ثقافية واحدة، وهوية موحدة. والخلاصة هي طمس الهويات المتنوعة، بما تحققه هذه التكنولوجيا من تدمير نقبض التفرد (البكري، مصدر سابق، ص 387). ويضيف عبد الغني عماد في نفس الإطار، أنه عندما تبلغ الهيمنة الثقافية درجة متقدمة، يصبح معيار التقييم والمفاضلة بين الثقافات محصوراً في تقليد " النموذج المتفوق، وتعيش الثقافة المغلوبة أزمة هوية. وقد تعرض عماد إلى ما أسماه بإشكالية الهوية الثقافية، موضحاً أن الثقافات تنتقل أو تنتشر في فضاء حقيقي أو إلكتروني وتتفاعل مع ثقافات أخرى، و أن ما سيحدث من تفاعل ثقافي سيأخذ ثلاثة أشكال: الاستيعاب أو التناقص أو القطيعة، مناقشاً أبعاد كل هذه الأشكال، وآخداً بعين الاعتبار الرابط القوي بين الإرث الثقافي المتراكم بأشكال الهوية ومحتوياتها. (عماد، مصدر سابق).

4. نتائج البحث

اعتمد البحث في هذا الجزء على إجراء مقابلات إلكترونية معمقة باستخدام عدد من البرمجيات والتطبيقات الإلكترونية المتاحة لكل مستجوب، مثل المسنجر والسكايب ومايكروسوفت تيمز وزوم. وقد أجريت المقابلات في الفترة الممتدة ما بين 1 إلى 12 يوليو 2021. وقد تم اختيار أفراد العينة انطلاقاً من قائمة الأصدقاء التي تمتلكها الباحثة على فيسبوك وتويتر، حيث حرصت على التواصل مع الباحثين الذين سبق وأن تعاملت معهم أو قرأت بعض مؤلفاتهم، وذلك اجتناباً

لأي شخصية وهمية قد تشارك في العينة من خارج أهل التخصص المستهدف من المقابلات.

جدول 1: ملامح العينة

العدد	بلد الإقامة	التخصص
4	تونس	علوم إجتماعية - إعلام واتصال - إخراج سينمائي
3	الجزائر	إعلام واتصال - فنون سمعية بصرية
1	المغرب	علم إجتماع
6	الإمارات العربية المتحدة	علم التاريخ - علم إجتماع - إعلام واتصال
2	المملكة العربية السعودية	إعلام واتصال
2	مصر	إعلام واتصال
2	العراق	إعلام واتصال - علم اجتماع
1	الأردن	علم تاريخ
21	8 بلدان	5 تخصصات

4. 1. تجليات الأزمة الخاصة بالهوية الثقافية الوطنية ولامحها

*واقع تشكل الهوية الشخصية وإعادة تشكيلها ضمن الفضاء الافتراضي:

أكد المستجوبون على أن الهوية الذاتية لا تتشكل بمعزل عن سياقها الزماني والمكاني الذي تتواجد به، فهي تستمد ملامحها من الثقافة السائدة في المجتمع، فتتصلب من الأصول المرجعية الدينية والتاريخية، ومن الموروث الحضاري الذي يعيش فيه الفرد. وفي هذا السياق، أكد أحد الباحثين المستجوبين أنه: "لا يمكن الحديث عن الهوية الشخصية أو الذاتية دون ربطها بمحيطها الخارجي و تحديد موقع الفرد ضمن المجموعة ودوره فيها، ولذلك نجد أن هنالك عدة عوامل تتدخل

في تشكيل الفرد وهويته، التي تصقل وتتطور وفقا لما يمر به الانسان عبر حياته من مواقف تجعله ينحت أسس جوانب من هويته ويعيد تشكيل جوانب أخرى منها، مع التقدم في التجارب الحياتية التي تتميز بالتغير الدائم وتتأثر بما يحدث في العالم الخارجي، وهذا يحدث نوعا من التداخل بين الانتماء إلى الهوية الشخصية وأشكال الانتماء الأخرى المتعددة، مما يسبب أزمة الهوية". كما أكد باحث آخر في العلوم الاجتماعية أن " بناء الهوية هو بناء ديناميكي وليس ثابتا، بل هو يتبدل مع تقدم مراحل العمر، وفي كل مرحلة نجد عناصر جديدة تدخل ضمن تركيبية الهوية وتُزال عناصر أخرى، حيث يتخلى عنها الفرد لتيقنه في وقت معين بعدم جدواها، وتعد روافد الثقافة أهم عنصر للتغيير الذي يحدث على هوية الفرد، وهي عوامل تتراكم نتيجة الاطلاع على كل ما هو جديد وغير مألوف للفرد، مما يجعلها في حالة تشكل مستمر. ولعل التطور التكنولوجي وانتشار الاستخدام السيبري ساهم إلى حد كبير في تلون الهوية الذاتية وتبدلها وابتعادها عن ملامحها الأصلية والأصلية، حيث تصبح وكأنها حاضنة لزمرة هجينة من الحضارات والثقافات ووعاء لمزيج فريد من المبادئ والعادات المتقاربة والمتنافرة مرجعيا وعقائديا وحضاريا. فتضيع الهوية الأم وسط هذا الزحام". وهذا الرأي يحيلنا إلى بوادر تشكل أزمة الهوية الثقافية الوطنية التي تتكون لدى الفرد منذ الطفولة وتتلون مع تعاقب مراحل العمرية وعلاقاته الشخصية وموقعه بالمجتمع، وتتضح بالتجارب والمواقف التي تثيرها من جانب وتدفعها إلى إعادة التشكل من جانب آخر، مما يفقدها أصولها الأولى. وقد شبها أحد الباحثين المستجوبين باللهجة البيضاء في اللغة العربية، حيث بين أن اللهجات المحلية هي إحدى الأسس التي تصبغ الثقافات المحلية، يكتسبها الفرد منذ نعومة أظفاره، بمجرد احتكاكه بوالديه وعائلته ثم بحارته وأقرانه بالمدرسة والحي، ولكن هذه اللهجة الأصلية المحلية تبدأ في الاضمحلال عند تعرض الفرد لفضاءات ثقافية مجاورة ومتقاربة ربما، لكنها مختلفة نسبيا أو كليا عن لهجته الأصلية. يصبح الفرد حينئذ يتحدث مزيجا من

اللهجات في نفس الوقت ويتقن عددا من اللكنات يستخدمها للتواصل مع الآخر المختلف عنه قصد إيصال المعنى وتقريبه أكثر. وشيئا فشيئا يصبح دمج اللهجات واللكنات عند الكلام تلقائيا، وحتى في حديث الفرد مع نفسه، وهو ما يجعلنا نقول بأن فولان لهجته ببيضاء، أي أنه يصعب علينا أن نتعرف على أصل الشخص وموطنه من خلال لهجته". وبالفعل، فإن ضياع اللهجة المحلية، وهي رافد من روافد الثقافة المحلية أمام غزو اللهجات الدخيلة، يجعلنا نتحدث عن أزمة اللهجات المحلية وخطر اضمحلالها بل وموتها مع مرور الوقت. والأمر نفسه يستقيم عندما نتحدث عن تداخل الثقافات الأجنبية مع الثقافة الوطنية التي تنشأ عند الفرد وتتأصل بداخله وترعرع معه، فتصبح مدفوعة إلى إعادة التشكل دفعا أمام السيل الجارف من العادات والتقاليد والممارسات الفردية والجمعية التي تصدرها لنا وسائل الإعلام الجديد وتكنولوجياته من خلال مختلف الأشكال الفنية والدرامية والإخبارية أيضا.

*ملامح الأزمة الثقافية الوطنية جراء المد التكنولوجي الجارف

تعرض المستجوبون في هذا الباب إلى مسألة التداخل الحضاري، والتلاقح غير المتكافئ للثقافات لصالح البلدان المهيمنة إقتصاديا وتكنولوجيا، حيث أصبحت تمسك بزمام الأمور وتدفع إلى عولمة قوامها ثقافة كونية موحدة هجينة في جزء منها لكن تجلياتها تعكس ما أسماه بعض المستجوبين استعمارا ثقافيا معولما لفائدة هذه البلدان. يؤكد أحد أفراد العينة المستجوبة هذا الاتجاه قائلا: "لقد انفتحت ثقافتنا عن الأخريات وتجاوزنا بفعل الأنترنت كل الحدود الجغرافية والزمانية، وهذا الانفتاح هو أحد أخطر أنواع الانسلاخ الذي طال المنظومة الثقافية المشكلة للهوية بفعل القوة الهائلة لتكنولوجيات الاتصال الحديثة، مما ساهم في إضعاف حس الانتماء إلى حيز معين، نجم عنه إضعاف الشعور بالانتماء المحلي والوطني عند الكثير من المستخدمين لهذه الفضاءات". ويضيف مستجوب آخر

في نفس السياق: "عملت وسائل الإعلام الجديد على إنتاج هويات افتراضية موازية لهوياتنا الواقعية، وهي هويات غير مرتبطة بزمان أو مكان، أو ثقافة أو دين. وهي هويات تتشكل بفعل التلاحق وتنتج نحو التوحد. والخطر المحقق هنا هو أن هذا العالم الافتراضي هو بصدد بناء واقع موازي جذاب يستهدف جميع هويات العالم في بوتقة واحدة، خدمة لمصالح تحدها الدول المهيمنة تحت عنوان تيشيري كبير ألا وهو العولمة، ليخفي خطرا أكبر وهو الهيمنة الثقافية للبلدان الغربية، حيث تتبنى الهوية الثقافية الافتراضية إن صح التعبير على معايير لا تمت بصلة إلى مجتمعاتنا العربية".

وهذا الغزو الثقافي العالمي" على حد تعبير بعض المستجوبين، يحمل في طياته بوادر الاندراج ضمن هوية دخيلة تحمل من القيم والمعايير ما هو غير مألوف في مجتمعاتنا العربية. وقد أضاف أحد أفراد العينة متخصص في الفنون السمعية المرئية بأنها "ستساهم في مزيد انسلاخ بعض ملامح الهوية الثقافية للبلدان العربية، وتضعنا في حالة استهلاك غير واعى للسلع الثقافية الغربية بمختلف رسائلها وإبجاءاتها، إن لم نقل حالة الدفاع الشرس عن الهوية الافتراضية الموحدة، التي تتميز بالانفلات الذي يراه البعض انفتاحا مشروعا بل ومحمودا في بعض الأحيان". إذن، تؤكد العينة المستجوبة أن ظهور عالم افتراضي موازي للعالم الواقعي، يتميز بالانفتاح، وهذا الانفتاح المنظم والمبرمج له من طرف الدول المهيمنة اقتصاديا وتكنولوجيا يشكل خطرا على الهوية الثقافية الوطنية، لاسيما الهوية الثقافية الوطنية في مختلف البلدان العربية، ويحيل إلى الاستيلاء الثقافي ومزج المخزون الثقافي الأصيل لدى الفرد بملامح ثقافات دخيلة، مكونا بذلك ثقافة هجينة يصبح الفرد بمقتضاها متأرجحا بين قيمه الضاربة في العمق والتي تربي عليها وكبرت بداخله، وبين ممارسات ومبادئ مستحدثة أغرته على الأنترنت فتبناها، وهي في طريقها إلى التجذر كدعامة أساسية من دعائم هويته الثقافية الوطنية المتحولة دائما. وهذا الوضع يشكل خطورة تتمثل أساسا في تبخر الشعور

بالانتماء الوطني والقومي شيئا فشيئا، وتقهر الاحساس بأصالة التوقع الاجتماعي وجدوى الالتزام بالقيم والمعايير الأخلاقية بالمجتمع الواقعي.

وهكذا، يمكننا الإجابة بالإيجاب عن التساؤل المطروح حول إمكانية الحديث عن أزمة الهوية الثقافية الوطنية في عصر الفن المعولم والإعلام الجديد، إذ أكدت العينة خطر العولة القادمة من بوابة الإعلام الجديد وما يحمله من مواد إعلامية وفنية ودرامية ملغمة بقيم ومبادئ وأخلاق هجينة لا تتناسب بالضرورة مع جوهر الهوية الثقافية في بلداننا العربية، بل وتشكل تهديدا على استمرارية وجودها كدعامة أساسية في شخصية المواطن العربي. بقي أن نخوض في الجزء الموالي في الأسس السليمة لبناء الهوية الثقافية الوطنية وتشكلها في العصر الراهن من وجهة نظر العينة، وما يجب أن يضطلع به الفاعلون في المجتمعات العربية من أجل الحفاظ على الهوية الثقافية في بلدانهم، والحيلولة دون اندثارها أو تقهقر قيمها.

4.2. الأسس السليمة لترسيخ الهوية الثقافية الوطنية وتثبيت مقوماتها ضمن تجاذبات الفضاء الرقمي المعولم

* مبدأ تعزيز الشعور بالانتماء الوطني

يلح مجموع الأفراد المستجوبين من علماء الاجتماع والتاريخ والإعلام والاتصال على ضرورة عدم إغفال الجانب السلبي للتكنولوجيات الحديثة للاتصال، على اعتبار أن الهوية الثقافية الوطنية هي الأساس الصحيح الذي ينبغي أن ترتكز عليه شخصية الفرد ويبنى عليه المجتمع، وأنه لا بد من تضافر الجهود من أجل استعادة الوعي بقيمة الثقافات المحلية والوطنية لدى الفرد في عصرنا الحالي. يقول أحد المستجوبين في هذا الصدد: لقد أصبح بعض رواد شبكات التواصل الاجتماعي اليوم يعتقدون بانتمائهم إلى مجتمعاتهم الافتراضية أكثر من انتمائهم لأوطانهم، وهذا شطط ما بعده شطط، فقد أبيضت المبيقات وحللت المحرمات عند

عدد غير قليل من المستخدمين، بحجة الحرية الفردية، والانفتاح الثقافي، وأصبح ينظر باستخفاف إلى بعض الشعائر الدينية والعادات والتقاليد المحلية، ولا بد من التحرك لانقاذ النشأ قبل فوات الأوان". أما عن ميكانيزمات التحرك ضد المد الثقافي العالمي الدخيل والمهيمن، يدعو أحد المستجوبين إلى "ضرورة النظر للإعلام الجديد على أنه ظاهرة استثنائية أنجبته الثقافة الغربية، فهو معطى دخيل ومشعب بمعايير لا تخلو من الانتقائية في العرض ومن المعايير الأجنبية الغربية التي يمكن أن تصطدم بهويات أخرى وتزعزع استقرارها وعناصر ثباتها".

*غزارة المضمون الثقافي والفني الوطني و العربي عبر الفضاء الرقمي

يشرح أحد أفراد العينة ضرورة تدعيم المضمون العربي بالشبكة العنكبوتية، قائلا: "إن أكثر من 80% من المضمون المنتشر على النت هو مضمون أمريكي بما يحمله من رسائل ووجهات نظر وعقلية ومبادئ وعادات وتقاليد تختلف الكثير منها عن عاداتنا وتقاليدنا وثقافتنا في البلدان العربية، وهو ما يجعل مصير الغزو الثقافي الغربي للمستخدم العربي محتوم، لذلك وجب تعزيز محتوانا كما وكيفا حتى لا نبقى تابعين ومستهلكين". ويضيف مستجوب آخر: "لمقاومة المد الثقافي الغربي والحفاظ على هوياتنا الثقافية الوطنية، لا بد من تنشيط الحركة الثقافية عبر وسائل الإعلام الجديد، شعرا ونثرا، و أدبا وعلما، فرادى وجماعات". لقد اتفق جميع أفراد العينة على ضرورة دعم المحتوى العربي السيبري من ناحية الكم والكيف، من خلال تضافر الجهود لخلق مواقع عربية تعرف بنقاصيل ثقافات البلدان العربية وتروج لها وتؤكد على خصوصيتها والاعتزاز بالانتماء إليها والتمسك بها. وتعرض عدد من المستجوبين إلى المنصات الافتراضية والتطبيقات التي يمكن استغلالها لغرض إثبات الذات، والعمل على مزيد اشاعها ضمن الشبكة المعولمة. كما تناول بعضهم آليات صناعة المحتوى الابداعي الفني و الثقافي على الأنترنت لاسيما "تنفلكس"، مؤكداين ضرورة الاعتناء بالرسائل التي

تتضمنها الأعمال الابداعية العربية. إذ أن الاهتمام بالكم لا يجب أن يكون على حساب الكيف.

ويوضح أحد المستجوبين المتخصصين في المجال السينمائي قائلاً: " لا يكفي أن نكثر من عدد المواقع العربية وكمية المواد العربية المنشورة، بل يجب أن تفوح المضامين بعقب ثقافتنا الأصيلة وأن لا تكون بمثابة إعادة تصنيع وتسليع ثقافة الآخر الرائجة عبر وسائل الإعلام الجديد". وقد تحدث مستجوب آخر عن مسلسل "الجن" الأردني، وهو أول مسلسل يتم انتاجه ضمن منصة النقل كس موضحاً: " إن الحملة الشعواء التي تعرض لها المسلسل لم تأت من فراغ، فقد تضمنت بعض مشاهد المسلسل لقطات ذات مضامين بعيدة عنا تماماً، فلو شاهدناها في فلم أو مسلسل أجنبي لكان الأمر هينا ولكن أن يتم الترويج لهذه الأفكار المرفوضة في مجتمعاتنا العربية والتي تدخل ضمن إطار العيب والمحرم أو المكروه دينيا واجتماعيا، بتعلة أن المسلسل يبيث على شبكة عالمية مدفوعة وليس للعموم، وأن الأفكار المروج لها هي أفكار تدور في أذهان كافة الشباب بالعالم أجمع، فهذا أمر غير مقبول، لأننا بذلك نظهر بمظهر الخاوي من أي دعائم أصيلة بل وبمظهر البوق الذي يردد صدى الثقافات الهجينة". وقد شاطر عدد من المستجوبين هذا الموقف مبينين أن مثل هذه الأعمال الدرامية لا تساهم في تأصيل الهوية الثقافية الوطنية في البلدان العربية ودعمها والمساعدة في إشراقها عالميا، بل عدها البعض مظهرا للاغتراب والاستيلاء الثقافي.

وفي المقابل تحدث أحد المستجوبين عن بعض الأعمال السينمائية التي شهدت رواجاً عبر النقل كس ولاققت رواجاً كبيراً مثل فلم "دشرة" التونسي "حيث تمعن الكاتب في تناول أخطر المشاكل الاجتماعية المسكوت عنها في تونس سابقاً، وهي السحر والشعوذة وأكل لحوم البشر، بأسلوب مثير وصادم يقترب من أفلام الرعب التي اشتهرت في أوساط الشباب ولاققت إقبالا كبيرا. فقد جمع الكاتب

والمخرج بين أصالة المضمون وعالمية الشكل الفني". كما دعا بعض المستجوبين إلى ضرورة تطعيم الألعاب الالكترونية الموجهة للأطفال بخصوصيات عربية وإنتاج برامج ومسلسلات أطفال مشحونة برسائل ثقافية تعكس تفاصيل الثقافة العربية: "أم خماس مثلا هي مثال يحتذى به في إنتاج برامج أطفال ذات طابع تثقيفي وترفيهي ببهارات خليجية محلية عريقة سواء من حيث اللهجة المستخدمة أو اللباس الذي يرتديه أبطال السلسلة الكرتونية الإماراتية، أو سيناريو الحلقات المستمد من الواقع الخليجي الصرف مضاف إليه روح النكته والدعابة الجاذبة لمتابعيه". وفي السياق نفسه تحدث مستجوب عن ضرورة التشبث بالهوية من خلال انتاجاتنا للآخر المختلف عنا، نستغل مساحتنا الفنية للتعريف بأدق تفاصيل حياتنا وخصوصياتنا الثقافية بدءا من أبسط تجلياتها مثل طريقة العيش واللباس وصولا إلى أكثرها تعقيدا مثل الخوض في القيم الإنسانية والقضايا الكونية من زاويتنا نحن، وتأتي في شكل إبداعات فنية ودرامية يمكن تجسيدها ببعد رمزي فلسفي عميق وبمعايير فنية وجمالية جذابة". وقد ذكر المستجوب عدة أفلام وثائقية ذات بعد محلي ووطني، تؤرخ للحضارة البربرية وتثري مخزونها المادي والمعنوي من خلال استعراض أهم خصوصياتها الثقافية، والغوص في بواطن قيمها الأخلاقية.

وعموما يمكن التأكيد على صيغة الإجماع فيما يخص دفاع المستجوبين عن فكرة التشبث بالخصوصية في الإنتاج الفني والدرامي والإبداعي والإعلامي عموما: "نشهد على الساحة اليوم روجا كبيرا لأفلام الهوليوود ولكن ذلك لم يمنع من إشعاع إنتاجات البوليوود وأفلام المملكة المتحدة والسينما الفرنسية وغيرها، فكل صناعة ثقافية من هؤلاء لها خصوصياتها وجمهورها. وقد أدى هذا الاختلاف النابع من تشبث كل منتج أو مبدع بأصوله الثقافية والمحتوى الذي يعكس تفرد اجتماعيا، إلى حوز نصيب مرموق من المتابعين على مستوى عالمي، فالهوليوود لها عشاقها وكذلك البوليوود وقس على ذلك"، هكذا عبر أحد المستجوبين عن موقفه قبل أن

يختم بسؤال استنكاري لم يتبعه بإجابة: " أين نحن من هذا كله؟ أين نحن من هوليود وبوليوود؟ ". هذا التساؤل ختم به المستجوب حديثه ليستنكر حالة التشوي الذي صبغ المضامين الثقافية العربية ضمن الشبكة العنكبوتية، وهو ما يذكرنا بما تحدث عنه عبد الغني عماد حين قال بأنه عندما تبلغ الهيمنة الثقافية درجة متقدمة، يصبح معيار التقييم والمفاضلة بين الثقافات محصوراً في تقليد "النموذج" المتفوق، وتعيش الثقافة المغلوبة أزمة هوية. وهو بالظبط ما أكده أفراد العينة: تبعية للمضمون الغربي وتقليد لنماذجه الرائجة دون التركيز على إظهار الخصوصية الثقافية المحلية والوطنية للإنتاج الإبداعي والثقافي العربي. والحل يكمن إذن حسب المستجوبين في التفرد في إطار الانفتاح، والتأصيل في ثوب الحداثة والعالمية.

إذن، تلتقي معظم المواقف التي أدلى بها أفراد العينة مع ما ذهب إليه إدغار موران، حين أعتبر أن كل منظومة فكرية هي مغلقة ومفتوحة في آن (ساحي وقره، 2019)، فهي مغلقة تحمي نفسها، ومفتوحة تغذي التأكيدات لصالحها. حيث تم التأكيد على ضرورة الانفتاح على ثقافة الآخر وقيمه وحضارته واستلهاً ما يدعم ركائز الهوية الثقافية الأصلية دون الانسياق غير الواعي والاعترا ب والاستيلا ب الثقافي. كما دعا مجموع أفراد العينة بضرورة المساهمة في دعم الزخم الفكري والثقافي والإبداعي العربي عبر وسائل الإعلام الجديد في إطار الانفتاح الواعي وبأسلوب يضمن تفرد المحتوى العربي ويسهل دمج كمحتوى تنافسي عالمي يفوح خصوصيات عربية أصيلة، وهو السبيل الأمثل للخروج من أزمة الهوية الثقافية الوطنية في البلدان العربية حسب المستجوبين.

خلاصة

يشير علماء الاجتماع إلى أن أزمة الهوية تختلف في شكلها ومضمون وحدتها من مجتمع لآخر ومن حضارة إلى أخرى. وفي عالمنا اليوم الذي يتسم بالتلون

والتغير المطرد بفعل العوملة والهيمنة، فإن المستخدم العربي مافتئ يشعر بعظمة الفجوة، وهو ما قد يؤثر على تصوره لهويته، حيث يصبح مهزوزا لدرجة تجعله يقبل على خلق "هوية بيضاء" هجينة، عابرة لأشكال الهويات الثقافية المحلية والوطنية والإقليمية، ومحلفة في سماء العالمية، مما يعمق أزمة الهوية الثقافية الوطنية، فيستقيم الحديث عن هوية هذه الأزمة الخائفة ويتعدّد السبيل إلى حلها. وللخروج من عنق الزجاجة، فإن الحل حسب ما ذهب إليه نخبة الباحثين المستجوبين، هو الإنفتاح مع الإبقاء على بوصلة الأصالة والتفرد، بالنظر اعتمادا على مدلولات المستخدم العربي المرجعية، الدينية منها والحضارية والتاريخية. من جهة أخرى، دعا المستجوبون إلى ضرورة وعي النخبة المثقفة والقائمين على المجال الفني والإعلامي بالدور المهم المناط بعهدتهم، كسفراء للثقافات الوطنية بالبلدان العربية (بما يضمه كل بلد عربي من خصوصيات ثقافية تفردّه عما سواه)، من خلال إنتاج مواد إعلامية وإبداعية تستثمر استراتيجيات التسويق العالمية، وتنخرط ضمن تيار التكنولوجيات الاتصالية التي تساعد في انتشارها وأشاعها، ولكنها أيضا تنهل من عمق حضارتنا وخصوصياتنا الثقافية. وهو ما سيساهم في تقديريهم بقسط كبير، في إزاحة أو إضعاف خطر أزمة الهوية لاسيما في أذهان المستخدمين اليافعين العرب.

المراجع

1. أبو بكر علي محمد أمين (2010)، المعرفة مفهومها و منطلقاتها- دار الزمان- الطبعة الأولى- سوريا
2. أسماء فروي (2013)، قيم الهوية الوطنية في كتابة التاريخ- مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع التربوي- جامعة الوادي- الجزائر
3. ثريا السنوسي (2019)، مواقع التواصل الاجتماعي وواقع البناء الذاتي للهوية، مجلة علوم الإعلام والاتصال، عدد3، السنة الثانية

4. حسين الغامدي (2001)، علاقة تشكل الأنا بنمو التفكير الأخلاقي لدى عينة من الذكور في مرحلة المراهقة والشباب بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية، المجلة المصرية للدراسات النفسية
 5. عبد الغني عماد (2017)، سوسيولوجية الهوية، جدلية الوعي والتفكك وإعادة البناء، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، فبراير، الطبعة الأولى
 6. عبد الودود مكروم (2008)، قيم هوية وثقافة الإنماء مدخل لتحديد دور التعليم العالي في بناء مستقبل الأمة العربية، المؤتمر العلمي العشرون "مناهج التعليم والهوية الثقافية" المنعقد في الفترة 30 - 31 يوليو - دار ضيافة جامعة عين شمس، مجلد 4، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس
 7. علي ساحي وعائشة قرة (2019)، الإعلام الجديد والمواطنة: أية علاقة، مجلة آفاق للبحوث والدراسات، المركز الجامعي المقاوم الشيخ آمود بن مختار إيليزي، العدد 4
 8. فؤاد البكري (2004)، الهوية الثقافية العربية في ظل ثورة الاتصال والاعلام الجديد، أبحاث المؤتمر الدولي: الإعلام الجديد، التكنولوجيا الجديدة، لعالم جديد، جامعة البحرين
 9. كريمة علاق (2018)، الهوية البديلة (افاتار) في لعبة الحياة الثانية: دراسة اثنوجرافية نفسية افتراضية على مجموعة من الشخصيات الافتراضية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، مجلد 8، عدد 24. موجودة على الرابط:
- <http://journals.qou.edu/index.php/nafsia/article/view/2112>
10. محمد عابد الجابري (1997)، مسألة الهوية، العروبة والاسلام والغرب، ط2، سلسلة الثقافة القومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت
 11. محمد أبو حليف (2016)، تعريف الهوية، مجلة "الموضوع" الالكتروني - 5 أكتوبر.

References

1. Tajfel Henry (1974). Social Identity and intergroup behaviour. Social Science Information, Vol.13, No.2

2. Telhami, Sh. & M. Barnett (2002). Introduction: Identity and Foreign Policy in the Middle East” in Telhami, Sh. & M. Barnett (eds.).
3. Webopedia :<https://www.webopedia.com/>